

تفسير أبي السعود

سورة يونس 40 أو ينتظروا وقوع ما أخبر به من الأمور المستقبلية ونفى إتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الإحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع فإن الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع إتيانه أفحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى أنه كان يجب عليهم أن يتوقفوا إلى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا وأما أن المتوقع قد وقع بعد وأنهم استمروا عند ذلك أيضا على ما هم عليه أولا فلا تعرض له ههنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم أو ادعاء أن قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشئ من عدم التدبر فتدبر كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدى بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدى الوارد في سورة البقرة يردده أنها مدنية وهذه مكية وإنما الذي يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ وقوله تعالى . كذلك الخ وصف لحالهم المحكي وبيان لما يؤدي إليه من العقوبة أي مثل ذلك التكذيب المبني على بادي الرأي والمجازفة من غير تدبر وتأمل . كذب الذين من قبلهم أي فعلوا التكذيب أو كذبوا ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على أيدي أنبيائهم أو كذبوا أنبياءهم . فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من المكذبين وإنما وضع المظهر موضع المضرر للإيدان بكون التكذيب ظلما أو بعليته لإصابة ما أصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في زميرتهم جرما ووعيدا دخولا أوليا وقوله D . ومنهم الخ وصف لحالهم بعد إتيان التأويل المتوقع إذا حينئذ يمكن تنويعهم إلى المؤمن به وغير المؤمن ضرورة امتناع الإيمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبا أفاده قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه أي ومن هؤلاء المكذبين . من يؤمن به عند الإحالة بعلمه وإتيان تأويله وظهور حقيقته بعدما سعوا في المعارضة ورازوا قواهم فيها فتضاءلت دونها أو بعد ما شاهدوا وقوع ما أخبر به كما أخبر به مرارا ومعنى الإيمان به إما الاعتقاد بحقيقته فقط أي يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند ويكابره وهؤلاء هم الذين أشير بقصر اتباع الظن على أكثرهم إلى أنهم يعلمون الحق على التفسير الأول كما أشير إليه فيما سلف وإما الإيمان الحقيقي أي سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين أشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني إلى أنهم سيتبعون الحق كما مر . ومنهم من لا يؤمن به أي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن

الإحاطة بعلمه كما ينبغي وإن كان فوق مرتبة عدم الإحاطة به أصلاً أو لسخافة عقله واختلال
تميزه وعجزه عن تخليص علومه عن مخالطة الظنون والأوهام التي ألفها فيبقى على ما كان
عليه من الشك وهذا القدر من الإحاطة وإتيان التأويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الإحاطة
بالمرة وهؤلاء هم الذين أريدوا فيما سلف بقوله D وما يتبع أكثرهم إلا طناً على التفسير
الأول أولاً لا يؤمنوا به فيما سيأتى بل يموت على كفره معانداً كان أو شاكاً وهم المستمرون
على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير إدعان للحق وانقياد له .
وربك أعلم بالمفسدين أى بكلا الفريقين على الوجه الأول لا بالمعاندين فقط كما قيل
لاشتراكهما فى أصل الإفساد المستدعى لاشتراكهما فى الوعيد أو بالمصرين الباقين على الكفر
على الوجه الثانى من المعاندين والشاكين